قضايا الغلو والتكفير في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني وموقف العلماء منها، "بوشقرون الوهراني نموذجا"

أ/ محمد أوجرتني/ جامعة الأمير عبد القادر/ قسنطينة

الملخص

تدور إشكالية البحث حول إحدى الظواهر الدينية والعقائدية في الجزائر خلال العهد العثماني، وتتمثل في الغلو والتكفير، ظهرت في الجهات الغربية للمغرب الأوسط مع حلول القرن السادس عشر الميلادي، وتمثل في تكفير العوام من طرف العامة ومن طرف النخب الدينية.

ومن أهداف الدراسة:

تقديم قراءة جديدة ومتعمقة لأسباب انتشار الغلو والتطرف الفكري ومواقف العلماء منها.

الوقوف على الجوانب العقدية والدينية التي كانت في الفترة المدروسة.

معرفة مدى سعة اطلاع المؤلفين الجزائريين واستيعابهم لقضايا عصرهم ومطالعاتهم لكتب العقيدة والفكر والأصول لأهل السنة.

تشريح ظاهرة التكفير وانعكاساتها على المجتمع الجزائري، من خلال رؤية وتحليل مترجمنا، ومما حثنا للبحث في الموضوع غياب دراسة متخصصة مفردة له، حيث كان الحديث حوله عارضا من خلال تراجم شخصية بوشقرون الوهراني.

Abstract

Le problématique de cette étude et un essaie de recherche sur l'un des phénomènes religieux et idéologiques les plus importante en Algérie durant l'époque ottomane; l'exagération et l'expiation des musulmans, surtout par les élites religieuses, pour des diverses raisons.

Ce phénomène réparti particulièrement dans les régions occidentales du Maghreb centrale au début du XVI^{ème} siècle, a coïncidé avec le début du harcèlement espagnol sur ces rives,

Ce qui nous a conduit à soulever cette question et la nécessité de donner une nouvelle lecture et d'approfondir d'avantage nos approches sur les raisons de la propagation de l'extrémisme et les positions idéologiques et scientifiques des jurisprudences.

Ces phénomènes abrogés représente un des calamités portées dans la société musulmane, y compris l'Algérie. Quel est le rôle qu'a jouer Chagroun Al Wahrani suivant sont fetwa qui s'intitule "aljaiish alkamine fimen kaffara ammat almousslimines", et L'objectif de cette étude.

الإشكالية.

تدور إشكالية البحث حول إحدى أبرز الظواهر الدينية والعقدية في الجزائر خلال العهد العثماني، والمتمثلة في "الغلو والتكفير" في الميدان الديني، وما دفعني لإثارة هذا الموضوع، الحاجة والرغبة في تقديم قراءة جديدة ومتعمقة لأسباب انتشار الغلو والتطرف الفكري، في إحدى أهم مراحل تاريخ الجزائر، وموقف العلماء منها، خاصة وأن هذه الظواهر من القضايا التي طرأت على المجتمعات الإسلامية، وساهمت بدور كبير في ضعفه، وركوده على مر العصور.

الوقوف على الجوانب العقدية التي كانت في الفترة المدروسة.

سعة اطلاع المؤلفين الجزائريين واستيعابهم لقضايا عصرهم ومطالعاتهم لكتب العقيدة والفكر والاصول، التي جادت بها كتب اهل السنة.

تشريح ظاهرة التكفير وانعكاساتها على المجتمع الجزائري، من خلال رؤية وتحليل مترجمينا.

ولم تكن هذه الدراسة موضوع بحث متخصص، بقدر ما كان الحديث عنها عارضا، من خلال دراسة تراجم شخصية شقرون الوهراني، ومن الدراسات التي وقفت عندها تلك التي قام بها مجموعة من الباحثين ينتسبون لدار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع، واعتمد اصحابها على نسخة مخطوطة موجودة بدار الكتب المصرية تحت رمز 940، واعتمدوا على معجم أعلام الجزائر لعادل نويهض، في ترجمة شقرون الوهراني، حيث ذكر عنوان الرسالة بصيغة "الجيش الكمين في الكر على من يكفر عوام المسلمين"، خلافا للنسخة التي اعتمد عليها المحققون والموجودة بدار الكتب المصرية، وقد ذُكرت بعنوان "الجيش والكمين لقتال من كفر عامة المسلمين "

ومهما يكن من خلاف في العنوان فإن ذلك لا يغير من الواقع شيئا، فقد برزت ظواهر سيئة وانتشرت خاصة في الجهات الغربية للمغرب الأوسط مع حلول القرن السادس عشر الميلادي، وتزامنت مع بداية التحرش الاسباني على سواحل المغرب الإسلامي، وتمثلت في تكفير العوام من طرف العامة ومن طرف نخب دينية أخرى، ولأسباب متباينة وواهية.

وقد واجه هذه الظواهر بعض العلماء لتصحيحها وترشيد المجتمعات والأفراد، وإبراز خطورتها على عموم المسلمين، ومن أبرز العلماء الذين تركوا أثرا علميا بارزا في معالجة هذا الموضوع الشيخ شقرون الوهراني الذي سنتخذه نموذجا لبحث هذا الموضوع الدقيق..

ومن هنا نتساءل عن أسباب هذه السلوكات هل يعود للجهل والأمية الدينية التي كانت تضرب بأطنابها في هذا الجزء من المغرب الإسلامي؟ أم يعود السبب لغياب النخب المتفقهة والعلماء وضعف حجتهم وعجزهم على إقناع أفراد المجتمع بهذه الممارسات السيئة؟؟ وكيف تصدى شقرون الوهراني لها؟ وما هي مؤلفاته في هذا

المضمار، وبماذا تميزت كتاباته ؟ وما هي الآثار والانعكاسات التي خلفتها هذه المعارك الفكرية والدينية على المجتمعات في المغرب الأوسط خلال العهد العثماني؟

وقد اتبعت المخطط المنهجي التالي لدراسة هذا الموضوع:

أولا: الواقع الفكري والديني

ثانيا: التدين في المجتمع الجزائري والعوامل المؤثرة فيه

1. ركود الاجتهاد
2. تداخل التصوف بالفقه.

ثالثا: بوشقرون الوهراني ورسالته:

1. التعريف ببوشقرون الوهراني
2. رسالة "الجيش والكمين فيمن كفر عامة المسلمين"
3. منهجه في معالجة التكفير وموقفه منه.

رابعا: نتائج البحث

أولا: الواقع الفكري والديني

تباينت رؤى المؤرخين في وصف عالم الفكر والثقافة بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني، والثابت الذي لا خلاف حوله أن الحواضر الكبرى التي توفرت بها شروط المعيشة والاستقرار، كانت أوفر حظ من البوادي والأرياف، التي كان ينهشها الفقر والحرمان، فأضحت مرتعا للجهل والتخلف والبدع، فمدينة الجزائر ظلت "دار الجوهر الفرد في الأدب" على حد تعبير الرحالة المغربي الجامعي، وعلم العقل والنقل، تنبت العلماء والصالحين كما تنبت السماء البقل، وهي لا تخلو من قراء نجباء وعلماء أدباء وأعلام خطباء"[1].

في المقابل ينقل عبد الرحمن الاخضري أحد المعاصرين لبدايات الفترة العثمانية صورة سيئة للواقع الثقافي والاجتماعي، فيقول:" وعاشر القرون هو قرننا الذي ظهرت فيه الفتن واشتد فيه إلباس وقوي فيه النحس، اشتد فيه طغيان الكافرين وانتشر فيه ظلم الظالمين ....فإن كان قبل هذا الزمان عبدة الأوثان فأهل هذا الزمان عبدة الشيطان شاع الشر وانتشر"[2].

أما الرحالة المغربي "أبو سالم العياشي" فعند مروره بوسط الإيالة قرب مدينة ورقلة، نجده ذهل لحجم البدع والجهل فيقول:" وكان دخولنا لمدينة ورقلا عشية الخميس وأقمنا يوم الجمعة وصلينا بجامع المالكية وخطب الخطيب فأكثر فيها من التحريف والتقديم والتأخير... ودعا في خطبته للإمام المهدي ثم للسلطان الأعظم الخاقان محمد بن إبراهيم بن مراد[3]"، ولما فرغ من الصلاة بعثت بعض أصحابنا يسأله عن المهدي؟ فإذ هو لا يفقه شيئا وقال أظنه النبي ص، فعلمت أنه وجد الخطبة مكتوبة في صحيفة قديمة عنده ولعلها من خطب بعض من كان أيام المهدي بن تومرت"[4].

لقد كانت ثقافة المدن الحية عاجزة عن التأثير خارج الأسوار، حيث ساد الجهل والتخلف وانحصر التفكير وتراجع الإبداع وقل العطاء العلمي، وصار التقليد شعار السالكين لطريق العلم والفقه، مثلما صار التلقي عن الأقطاب الصوفية والطرقية بديلا عن ممارسة التدين واقتفاء أثر العلماء والفقهاء والمجتهدين[5].

ولاحظ أغلب الكتاب والرحالة الغربيين هذا الوضع المتردي فتفننوا في وصف الواقع الثقافي بالسيئ، مقارنة بما كان في أوروبا، فالقنصل الأمريكي وليام شالر[6] Shaler ينفي وجود العلم والتعليم في الجزائر، ويرى أن السكان يحتقرون العلوم ويكتفون بتعلم القرآن[7]، وهو نفس رأي الأسير الإيطالي فيليبو بانانتي[8] في مذكراته، حيث قال :" ومنذئذ بدأت غيوم الجهل تلف بربارية[9] وجهاتها الممتدة من "رأس سبارتال"[10] حتى الإسكندرية، وانمحت كل آثار الحضارات القديمة النوميدية، وحتى

العربية منها، ولا تكاد تعرف أن هذه البلاد هي التي أنجبت الفلكي المشهور "جابر بن حيان" و"الفرابي" وغيرهما"[11].

ثم يردف متسائلا :"هل يمكننا أن نرى في هؤلاء البرابرة القادة العظماء الذين قدموا دروسا عظيمة في غرناطة وقرطبة وأسسوا الحمراء والزهراء؟؟ إلى أن يقول :" لقد عمل رجال العلم هم أيضا على احتكار المعرفة وإبقاء الأوضاع على ما هي عليه حتى تستمر سيطرتهم"[12]، وشاركوا في ترسيخ سلوك سيء يتمثل في عدم الاعتناء بالعلوم الأخرى والاكتفاء بدراسة القرآن والاعتكاف عليه، على حد قوله[13]، حتى عُدّ أخذُ العلم من أجنبي محرما[14].

وبالرغم من أن كل أفراد الأهالي تقريبا يحسنون القراءة والكتابة، وكان في كل قرية مدرسة يتعلم بها الأطفال لكن لا يوجد شيء بعد هذا؟؟.[15]..

وقد نال العلماء مكانة مرموقة في السلطنة العثمانية، وكذا في مصر، فقد كان لفقهاء الأزهر وعلمائه حظوة بالغة، لاحترام الناس والعامة لهم، لما يحملونه من علم وفقه[16]، فكانوا لا يُذكرون إلا بسادتنا الشيوخ، وكان الوضع في تونس والمغرب لا يقل شأنا، حيث نال فقهاء البلدين مكانة ورفعة بصورة عامة، دون تفصيل في الوقائع المنفردة والأمثلة الشاذة التي كانت تقع بين الحين والآخر.

غير أن واقع العلماء في الجزائر فهم لا يحسدون عليه، فكما يقول أبو القاسم سعد الله " لم يكونوا يشتكون من ظلم الحكام فحسب، بل كانوا يشتكون حتى من ظلم الناس لهم أيضاّ، وقد اشتهر الجزائريون منذ القدم بأنهم لا يعرفون للعلماء وزنا ولا يعترفون لهم بعهد أو حرمة، وقد تكون هذه الظاهرة هي التي أجبرت العديد منهم علي الهجرة والاغتراب خارج وطنهم[17].

ومن أبرز مظاهر ضعف مكانة العلماء، تحرش السفهاء والعامة بهم، دون رعاية أو احترام، حيث تتغلب دواعي الشر والحقد والضغينة في الناس، ويدفع العلماء ثمن

حمقهم وجهالتهم ورعونتهم، من ذلك ما وقع للشيخ القاضي "محمد أبهلول" الذي أفتى أحد العامة بحرمة الزواج من امرأة غاب عنها زوجها دون معرفة مصيره، فنقم الرجل وقام بطعنه غدرا بخنجر مات على إثره[18].

ثانيا: التدين في المجتمع الجزائري والعوامل المؤثرة فيه

إن البحث في وضعية التدين في المجتمع الجزائري، يقودنا حتما للحديث عن تأثير العقيدة الإسلامية بما تحمله من قضايا وتصورات وقيم غيبية في سلوك الناس في حياتهم اليومية؟؟ فكيف كان تدين الجزائريين؟

إن أول ما يجب الإشارة إليه هو وجود فروق جوهرية في المستوى التعليمي والفكري بين فئات المجتمع الجزائري، من حيث التأثر بمختلف العلوم والثقافات، والعادات والتقاليد المتحكم فيها، فقد كانت المدن الجزائرية عكس الأرياف مسرحا لعدة تيارات وافدة سواء من أوروبا والمشرق الإسلامي والأندلس[19]، في وقت كان الريف يعيش في عزلة عنها.

لقد كانت المساجد والزوايا والمدارس في المدن متعايشة بعسر مع ظواهر اجتماعية مخالفة، كمعاقرة الخمور وممارسة البغي والفساد الاجتماعي بأشكاله المتنوعة، ولم يحسم العلماء الموقف سواء تحالفوا مع السلطة الزمنية أم خاصموها، فنجم عن ذلك جملة من المشاكل والظواهر السلبية، ساهم في تعقيدها وجود الأسيرات المسيحيات، اللواتي أدخلن البغي ويسّرن ظاهرة تعدد الزوجات والاستمتاع بهن، بصورة أو بأخرى، خاصة بين فئات القادة، ورجال الدين، الذين جنح أغلبهم إلى إخفاء ارتباطه الآخر[20].

ويرى الباحثون أن أزمة انحطاط المجتمع مرده إلى ضعف عقيدة المرأة وانحرافها عن جادة الدين، فقد كانت جل اهتمامات المرأة تدور حول موضوع البيت وشؤون المنزل، وقضايا الطبخ والحلي والألبسة وأصنافها، وعن الجنس وآداب المعاشرة ومتعة الأزواج[21].

وكانت الأرياف تعيش في ظل تخلف وركود بسبب انعدام الأمن وتفشي الأمراض والأوبئة[22] التي كانت تنخر جسم المجتمع، وكان أغلبها قادم من الأقطار المجاورة،[23] ، فضلا عن موجات الفقر والمجاعات والجهل[24]، وسيطرة طبقة المرابطين والمشعوذين، وكانت النسوة في الأرياف متحررات من مختلف القيود، ويمكن لهن السقوط في أوكار الخنا والفجور بسبب ذلك[25]، رفقة الشباب المتهور الذي يتلذذ بالقيام بمغامرات في الحقول المجاورة مصحوبين بزجاجات الخمر وخليلاتهن[26].

وسجل من جهته الرحالة "ج.أو.هابنسترايت" في مذكراته رؤية مغايرة حيث يقول أن المسلمين يمتنعون عن شرب الخمر، والبعض الذي يشربها خاصة بعد انتهاء شهر رمضان لا يجرؤون على تناولها جهارا، أما الخمارات فكان يديرها الأسرى النصارى ويترددون عليها وكذلك الانكشاريون[27]، مما ينفي انتشارها على نطاق واسع.

ونفس الرؤية ذهبت إليها سائحة بريطانية زارت الجزائر في سنة 1811 تدعى صوفيا برنارد، حيث قالت عن الأهالي :" إنهم يمتنعون عن تناول المشروبات الروحية ليت جميع الأمم تحذو حذوهم؟ وأنا أعتقد أنه من المستحيل أن يجد المرء في أي مكان آخر في العالم لياقة وأدبا ورعاية مما يجده في الجزائر."[28]

واختلف الدارسون في تحديد مستوى التدين عند الجزائريين فقال بعضهم بوجود مستوى مقبول من التدين وسمو الأخلاق وحسن التعامل بين أفراد المجتمع، كالرحالة الأسير الاسباني "دييغو دو هايدو" Diego de Haido الذي نوه بالخصال الحميدة التي اتسم بها الجزائري في هذه الفترة، منها الصبر والمثابرة وتحمل الألم والجوع لأيام طويلة، وذكر أن الجزائريين كانوا حين المصائب والملمات لا يكفرون بالله – لا يتفوهون بكلمات الفحش- بل لا توجد في قاموس لغتهم، سواء بالنسبة للعربي أو التركي أي عبارات كفر ومعصية لله[29]، كما أنهم لا يتقاتلون ولا يتبارون بالسكاكين فيما

بينهم[30]"، "وإذا حصل بينهم ذلك فإن إمكانية الصلح قائمة جدا خاصة وأنهم كانوا شديدي الطاعة والتسليم لحكامهم وقضاتهم"[31].

ويتحدث في السياق نفسه الكاتب الفرنسي الجنرال دوماس[32] في الموضوع ويبدي انبهارا بحياة الجزائريين الاجتماعية منوها بوجود قيم كثيرة مهمة كإلقاء التحية والتمسك بمعاني التحضر والإيجابية وتوارث القيم النبيلة عبر الأجيال[33].

وفي المقابل كتب باحثون آخرون خلاف ذلك مشيرين إلى وجود ضعف في التدين عند الجزائريين، وفساد مزاجهم وسوء أخلاقهم، منهم الرحالة المحليون كالحسين الورتلاني الذي يؤكد:" وكثير من السنن والشعائر الإسلامية تركت ونبذت في وطننا بل بدلت بالضد والعياذ بالله"[34]، منبها لوجود عادات سيئة كالبغاء وشرب الخمر وقطع الطريق والحروب بين القبائل والسرقة والسطو داخل المدن وفي الأرياف، وسار في منواله الرحالة ابن حمادوش منوها بفساد العلماء وعجزهم في معالجة الانحراف وفساد التدين[35].

ومن أبرز العوامل المؤثرة في التدين عند الجزائريين خلال هذه الفترة مايلي:

1. ركود الاجتهاد

إن الناظر للاتجاه العام الذي سارت فيه الدولة العثمانية والولايات التابعة لها منذ القرن السادس عشر الميلادي يرى أن خط السير كان غير مواكب للتجديد وغير مشجع على التجديد والتفكير في أغلب الأحيان، وكانت النخب الدينية والفقهية تدعو للتمسك بالعلوم الموروثة والثقافة المكتسبة، وفي ظل الجمود الفكري رست قواعد التقليد الأعمى في شتى مناحي الحياة، وتكرّست ثقافة الاكتفاء بما خلفه الأولون، فسعى أتباع كل مذهب ومجموعة فقهية، إلى إبراز محاسنها لكسب الأنصار والمؤيدين، مما قاد إلى نشوب معارك مذهبية ودينية عنيفة، غذّاها الترف الفكري والنقاش العقيم، ودار مجمل الصراع الكلامي والجدل في مسائل ثانوية لا تقدم ولا تؤخر، ومن أمثلتها مسألة جواز التقليد من عدمه، ووجوب الاجتهاد بالنسبة للعامة من الناس، وتكفير أتباع المذاهب

المخالفة ونبذ تقليد الكفار وغير ذلك. وقد صور أحد فقهاء هذه الفترة[36] ما آل إليه أمر الاجتهاد فقال:

خبرا عني المريد بأنـــي كافر بالذي قضته العقول

ما قضته العقول ليس من الدين بل الدين ما حوته النقول[37]

لقد كان التقليد الفقهي والفكري ظاهرة منتشرة في العهد العثماني، وكان أغلب الفقهاء يعتمدون على الحفظ دون وعي لفقه الواقع، وقد أرجع الفكون – صاحب منشور الهداية– شيوع ظاهرة التقليد في عصره لضعف الإيمان عند الفقهاء وطلبهم العلم من أجل التباهي ليس لحاجة الناس إليه، وهو ما نستشفه من خلال تعليقه في نعيه للمقري[38] بقوله "كان شديد الاعتماد على الحفظ، والعلم ليس بكثرة الرواية وإنما يظهر عند الحاجة إليه في الفتوى من الدراية، وان السرد للمعلومات إنما حدث عند فساد القلوب بطلب الظهور والتعالي على الأقران وكثرة الرياء في الأعمال[39]".

وكانت الأزمات القاسية التي عاشها المغرب الإسلامي، ومنها سقوط الأندلس بيد الإسبان، وشيوع الفوضى والاضطرابات المختلفة سببا في توقف العطاء الحضاري والركود الفكري والديني الذي ألمّ بالمنطقة، ونتج عنه ضعف التدين وهشاشة إيمان الناس، وعودة الصراعات القبلية، وانحسار الدعاة والعلماء والفقهاء، وسيطرة التصوف الطرقي، وبروز مسائل علم الكلام، والنقاشات لمواضيع العقيدة من طرف العامة، والتي انتهت إلى نتائج خطيرة، كانتشار ظاهرة التكفير لعوام المسلمين[40].

وبرزت اجتهادات فقهية باحتشام لكنها ظلت بعيدة عن التأثير في الواقع الاجتماعي وحبيسة التقليد داخل جدران النسيج الاجتماعي المنغلق، ومن تلك الكتابات التي دارت في هذا الفلك "نوازل المازوني[41]"، تضمنت الكثير من القضايا التي تنبئ عن مستوى التفكير لدى فئات المجتمع وتكشف اللثام عن اهتماماتها الفكرية والدينية في ذلك الوقت، منها حكم استعمال الورق الذي يصنعه الأوروبيون بغرض

الكتابة في البلاد الإسلامية، والذي اصطلح على تسميته "الكاغد الرومي". ولكون هذا الورق من صنع النصارى، ولا يُعلم بمادة صُنعه، وهل كانت فيها نجاسة أم لا؟ استند هؤلاء على القول بكراهته وحملوا الناس على الامتناع عن استخدامه[42].

وبالمقارنة بين مسائل الاستفتاء التي جمعها المازوني في نوازله بتلك الفتاوى التي ذكرها بن عظوم المراد التونسي والذي كان يعيش نفس الفترة تقريبا، نلاحظ أن هناك تباينا واضحا في نمط القضايا المطروحة على الاستفتاء في البلدين، من حيث جدية المسائل المقصود البحث عن حلول فقهية لها، ومن حيث نمط تفكير الناس في البلدين المتجاورين[43].

2- تداخل التصوف بالفقه.

يعد الخلط بين الفقه والتصوف من أبرز مظاهر الضعف التي بلغها العالم الإسلامي، أدت إلى تعدد مصادر التلقي وتضاربها وتناقضها، فالتصوف منهج يعتمد على المسائل الظنية والتحسينية والانطباعية خلافا للفقه الذي يعتمد على نصوص قطعية ثابتة وإن وقع الاختلاف في تفسيرها.

ومن أكثر النماذج التي جسدت تأثر الفقيه بالأوساط الصوفية نموذج "أبو راس الناصري" فبالرغم من باعه الطويل في طريق الفقه والعلوم العقلية الأخرى، إلا أنه كان يطنب في مدح أحد شيوخ الصوفية يدعى الشيخ "سيدي محمد أبو عبد الله المغوفل" ت 1023[44] ، وقال عن هذا الشيخ، الفقيه الصباغ القلعي:" وقد قبض مع لحيته، هذه اللّحية بفضل الله تنفع بعد موتها ما لا تنفع في حياتها"[45]

وتذكر المصادر من أنّ ابن المغوفل هذا قد ظهرت "ولايته" في تونس، وأنّ المشْيَخَةَ قد أُعطِيَت له هناك، ثمّ جاء إلى منطقة "الشلف" ونزل قرية "بومليل" حيث ظل يتعبد، ثمّ انتقل إلى قرية "ندايلة"[46] غرب الشلف.

وحاول بعض العلماء التخلص من الإرث الصوفي الممزوج بالدجل والكهانة، كعبد الكريم الفكون صاحب منشور الهداية، لكنه عجز عن الخروج برؤى فقهية صالحة لزمانه. وولع بزيارة الأضرحة أعلام ونخب الفترة العثمانية كالمقري وابن حمادوش وبن عمار و الورتلاني، ويعتبر هذا الأخير أولياء الله في تونس كالنجوم، واغتنم مروره بالبلاد ليزور أضرحة الشيخ "محرز بن خلف"، و الفقيه "ابن عرفة"، و"البرزلي"، و"الغبريني"، ومغارات "أبي الحسن الشاذلي"، ثم يقول :" هؤلاء هم سلاطين البلد وعليهم الاعتماد في جميع الأمور"[47].

وتقاسم النفوذ الصوفي في المغرب الأوسط خلال بداية العهد العثماني مجموعة من الشيوخ الأقطاب منهم، الشيخ احمد بن يوسف الملياني في غرب عاصمة الإيالة، والشيخ سيدي أحمد الكبير[48] بمنطقة المتيجة، والشيخ أحمد التواتي بمنطقة حوض وادي الصومام، والشيخ محمد الهواري في ناحية وهران، أما مدينة تلمسان فقد خضعت لسيدي بومدين الغوث[49]".

وسيطر القادريون المنتسبون لأحد أسلاف الأمير عبد القادر على ربوع منطقة معسكر ونواحيها، مثلما ذاع صيت آل أبَهْلَول المجاجي في أحواض شلَف وتنَس، وفي عنابة كانت المشيخة الصوفية في عائلة ساسي البوني، الذي حوله سكان المدينة في فترة قصيرة، من فقيه وعالم ولغوي إلى ولي صالح لا ترد له دعوة[50].

وفي منطقة دار السلطان، نجد أن خمسة من الأضرحة كانت تستقطب إليها آلافا من الزوار، وهي ضريح "أحمد بن يوسف" في مليانة و ضريح "سي محمد بن مبارك"[51] بمدينة القليعة و ضريح "ابراهيم الغبريني" بشرشال وقبري "سيدي عبد الرحمن "بوقبرين" في مدينة الجزائر وفي "أيت إسماعيل" بجرجرة.

ورافق انتعاش التصوف الطرقي "زيارة الأضرحة" والتبرك بها ولقيت رواجا كبيرا في العهد العثماني، طلبا للخير ونيل الرضا والبركة، وكان أغلب الزوار يعتقدون حصول البركة والتوفيق لهم[52].

قال الشيخ إبراهيم التازي منوها بزيارة الأضرحة:

زيارة أرباب التقى مرهم يبدي ومفتاح أبواب الهداية والخير[53]

وتتجلى زيارة الأضرحة في المواسم الدينية كالمولد النبوي الشريف والأعياد الأخرى، وصاحبها الكثير من البدع التي أفرزتها الممارسات المتكررة لها، حتى تحولت لتكليف شرعي واجب، منها أن الحجاج كانوا لا يرتحلون إلى مقاصدهم حتى يطوفون بقبور الأولياء.

وشجع العثمانيون هذه الظاهرة وقربوا إليهم المرابطين وأغدقوا عليهم بالعطايا، وأعفوهم من الضرائب، ومنحوهم جزءا من عائدات الأوقاف وغنائم البحر، بهدف كسب تأييدهم لتأثيرهم الكبير على السكان، وبعد وفاتهم بنوا عليهم الأضرحة، ووجد الأتراك ضالتهم في المغرب الأوسط حيث بلغ التصوف درجة "زبدة الدين وخلاصته"[54].

وربط السكان بهؤلاء كرامات وخوارق، وتحولت الأضرحة إلى أماكن مقدسة، وبإمكان أي شخص ارتكب جريمة أن ينجو من العقاب إذا لجأ إلى ضريح أحد الأولياء الصالحين، بحيث يمنع على الجيش والحراس اقتحامه، وكان ضريح "سيدي عبد القادر" و"سيدي عبد الرحمن" من أهم هذه الملاجئ في مدينة الجزائر[55].

وكان الاعتقاد السائد عند الأهالي في نيل الشفاء على يد المرابطين، وصار كل مرابط شبه متخصص في نوع من الأمراض فهناك المتخصص في أمراض الحمى والعقم والصداع والشقيقة والأوجاع التي تصيب الأطفال، وتقتضي زيارة ضريح الولي في فترات معينة والقيام بطقوس محددة كتناول فاكهة تنبت قرب ضريحه أو التبخر بالأعشاب القريبة منه ليزول بعدها ما جاء يشكو بسببه وغيرها من العلل[56].

وبلغت في بعض الجهات درجة التقديس الأعمى للشيوخ، بأن أسقطوا الفرائض والتكاليف الشرعية عن أنفسهم، والنواهي والمحرمات، وقد ذكر "بيار بوابي" أن إحدى بنات القناصل الغربيين لم يستطع أحد الشيوخ المرابطين أن يلجم نفسه أمام جمالها فاعتدى عليها، ولم قدمت شكوى للداي قال:" إن هذا شرف كبير أن يتقرب شخص مثل الشيخ المرابط من هذه المرأة ذات الحظ الكبير؟"[57]

وتُرك للمرابط حرية الفعل في بعض الجهات وكثيرا ما تعلق المرابطون بنساء في الشوارع وزنوا بهن في خلواتهم كما حدث للمرأة التي حملت من أحد المرابطين وكانت تردد " إن الأولياء أعطوني له"، وتناقل الناس خروج أحد الأولياء من ضريحه في مالطة[58]، وأخذ يتنبأ بقدوم الكفار وشرع في لعن الداي، وراجت الشائعة كثيرا في الإيالة مما حذا بالداي علي باشا إلى فرض عقوبات ضد مروجيها ولكن دون جدوى[59].

وسجّل الرحالة الغربيون الذين زاروا الجزائر الكثير من الظواهر التي ميزت عقيدة الجزائريين، واعتبرها بعضهم عقائد بدائية تنسب الحكمة والقوة لأي شيء دون تفكير وتمحيص، وفي هذا الإطار ذكر أحد الرحالة أن البرابرة كانوا يحترمون الضفادع ويعتبرونها بمثابة مرابطي الحيوانات[60]، وهو ما يدفعنا إلى القول بوجود تقلص في تأثير العلم والفقه في حياة الناس، لحساب تأثير الخرافات والظواهر الغيبية.

وقد تتبع الفقهاء على مر التاريخ أعمال الصوفية ومن أبرز الذين تصدوا للتصوف البدعي فقيه المالكية في الأندلس الإمام الطرطوشي[61]، والقرطبي، حيث بيّنا علاقة التصوف بالزندقة والانحراف[62].

ولم يستطع عبد الكريم الفكون صاحب منشور الهداية أن يتحرر من سجع الكهان والإطناب والحشو في الكلام، بالرغم من جاذبية عنوان تأليفه[63]، الذي تميز بكونه مليئا بحديث الكرامات والتصوف، التي كان يؤمن بها.[64].

وتعد مدينة تلمسان معقلا كبيرا للتصوف والطرق الصوفية بمختلف أنواعها وأورادها، وقد عرفت المدينة أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر الميلاديين رواجا كبيرا للفكر الصوفي، مما دفع ببعض فقهائها إلى الكتابة في الموضوع، لتبيين حقيقة الدين فألف بن مرزوق العجيسي التلمساني"الحفيد"[65] كتابا بعنوان "النصح الخالص في الرد على مدعي رتبة الكامل للناقص"، في الرد على قاضي قضاة تلمسان قاسم العقباني[66]، الذين كان يميل إلى تشجيع الصوفية، كما وقع التنابز بين رجال التصوف الذين كانت السلطة العثمانية تدعمهم ضد خصومهم من الفقهاء والنخب، وهو ما نستشفه من خلال ما وقع بين "بن زاغو" الفقيه وبين "سعيد منداسي" الشاعر الثائر.

وقد أثار الورتلاني في رحلته ظاهرة انحراف وتحول التصوف إلى أعمال سيئة وقعت فيها تجمعات مشبوهة، يختلط فيها الرجال بالنساء في أماكن مختلفة، ظاهرها الخير والصلاح وفي حقيقتها سبل للتوصل إلى الزنا والفواحش والمناكر المختلفة[67]، التي كانت تنخر جسد المجتمع وترتكب باسم الدين.

ثالثا: بوشقرون الوهراني ورسالته:

1. التعريف ببوشقرون الوهراني

ولد الفقيه أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي جمعة الوهراني، نحو سنة 1473م، في مدينة وهران في أسرة محافظة، تنحدر من سلالة شريفية كما ذكر ذلك محمد بن يوسف الزياني[68]، وأبوه هو العالم الشيخ أبو العباس احمد بن جمعة المغراوي الوهراني المتوفي سنة 1514 م صاحب الفتوى الشهيرة إلى الموريسكيين بالأندلس[69]، التي أفتى فيها المسلمين بالبقاء تحت الضغط وإخفاء دينهم والتظاهر بالنصرانية، بعدما حلت بهم نازلة العدو وسامهم الهلاك والفناء[70]. وجاءت بعد ما أرسل مفتي وهران ابن قطبة إلى مسلمي الأندلس رسالة سنة 1503 يحثهم على التمسك بالأمل في نجدة الأتراك لهم

قائلا "إني أدعو الله أن يغير الأحداث لصالح دين الإسلام، وحتى تتمكنوا من عبادة الخالق دون لوم أو خوف وهذا بفضل التحالف مع الأمراء الأتراك"[71].

وبوجمعة هو اسم جده وأما لقب "شقرون" فلأنه كان أشقر اللون أحمر العينين وجهير الصوت، وصفه معاصروه بأنه طويل القامة، وبعدما عاش قليلا من الوقت بمدينته وهران، ومع بدء التحرشات الأسبانية عليها انتقل مترجمنا إلى فاس وقضى بها بقية حياته، إلى أن قضى بها نحبه، ولهذا يدعى شقرون "الفاسي" لوفاته بها، سنة 929 هـ / 1532.

ويرى بعض النسابة أنه ينحدر من قرية صغيرة بالأندلس تعرف بالمغرة[72]، لكن الراجح أن انتسابه إلى "مغراوة" وهي بطن من قبيلة "زناته" إحدى القبائل الكبيرة التي تقطن الجهات الغربية من المغرب الأوسط[73]. وينسبه البعض الآخر إلى بلدة "ألمغرو" بمقاطعة قلعة "رباح" الأندلسية، نظرا لتشابه اسمه المغراوي باسم هذه البلدة.

تعلم شقرون على يد والده أحمد بن أبي جمعة المغراوي أبو العباس أولا، ثم تتلمذ على يد الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن غازي العثماني(ت951هـ- 1544م)، بمدينة فاس وكان علما بارزا من أعلام المغرب الإسلامي[74]، وأخذ عن أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجي، المعروف بالدقون (ت 921 هـ – 1515م)، كما أخذ عن الشيخ محمد بن يوسف السنوسي التلمساني (1480ت)[75]، وأخذ عن بعض شيوخ تونس[76] أثناء زيارته لها، وكانت سنة العلماء والفقهاء في ذلك الوقت زيارة حواضر العلم والاتصال بالمشايخ والتقرب منهم للاستزادة في مختلف المعارف.

ومن خلال كتاباته الجريئة التي تتميز بها رسائله، يتبين للدارس علو شأنه وتبحره في مختلف العلوم مما حذا بالطلبة لمصاحبته ومرافقته والتتلمذ لديه، ومن بين أنجب تلاميذه علي بن يحي الجاديري التلمساني[77] (972هـ)، ذكره المؤرخ الجزائري عبد الرحمن الجيلاني في كتابه تاريخ الجزائر العام[78].

ولا يتيسر للباحث في شخصية "شقرون" الشيء الكثير عنه، فقد تميزت بالغموض وندرة المادة الخبرية التي تتعلق بجوانبها التاريخية، نظرا لقلة المصادر والمراجع التي تحدثت عنه، وفي هذا الإطار يقول الباحث الجزائري المهدي البوعبدلي "إننا مع الأسف لم نعثر على شيء عن مؤلفها إلا ما ذكره في المنظومة"[79].

وسكن شقرون مدينة فاس التي كانت تعرف استقراراً نسبياً، وكانت تعرف بمدينة العلم والفقه، وأهلته صفاته العديدة التي كان يتصف بها، على نيل العلم والفقه والتفوق في مسائل الفتوى والاستنباط والقياس، فقد كان واسع المطالعة شديد حضور الفكر، نبيها سريع الحفظ والفهم[80].

وبرع شقرون في علوم كثيرة منها فن القراءات وعلم الكلام، وما تزال رسائله موجودة على شكل مخطوطات في مكتبات كثيرة بالمغرب الأقصى، ومن أبرز كتاباته رسالة صغيرة تسمى "تقريب النافع في الطرق العشر لنافع"[81]، كتبها في علم القراءات وبيّن فيها طرق نافع العشر التي استند إليها في قراءته ووجوه الاختلاف بينها، وقد ذكر أبو القاسم سعد الله هذا التأليف ونسبه لصاحبه[82]، وله أيضا تقييد[83] على "مورد الظمآن[84]" دوّن فيه ملاحظات شيوخه التي نقلها عنهم، وهي عبارة عن معلومات مفيدة سجلها مما تلقّاه عن شيوخه بفاس، من مدارساتهم لكتاب مورد الظمآن، وقد ذكر ذلك عادل نويهض في معجمه عندما تطرق لترجمة شقرون، حيث قال:" ... مقرئ حافظ له الجيش الكمين في الكر على من يكفر عوام المسلمين وتقييد على مورد الظمآن"[85]، ولمترجمنا كذلك قصيدة في رثاء شيخه ابن غازي، وله أيضا رسالة في وصف المأكولات والمشروبات[86].

و أثنى العلماء على شقرون الوهراني، فقالوا عنه بأنه كان عالما أصوليا فقيها وملما بعلوم العقل والنقل، مقرئا حافظا ضابطا متكلما قدوة، وغيرها من الألقاب التشريفية التي نالها، فحظوته عند أهل العلم كانت كبيرة، ووصفوه بما هو أهله من العلم

والفقه والمكانة، كأحمد بابا التنبكتي[87] الذي قال فيه: "الأستاذ المتكلم المقرئ الحافظ الضابط" وقال فيه ابن محمد مخلوف[88]: "الأستاذ المتكلم القدوة المقرئ العالم العمدة".

وكان للشيخ شقرون مساجلات كثيرة مع فقيه المشرق الإسلامي في زمانه، الزمخشري صاحب تفسير الكشاف، الذي كان متشبعا بآراء المعتزلة وعلماء الكلام[89]، وقد أورد هذه المساجلة مترجمنا نفسه ويبدو أنه كان شديد الرفض لأفكاره، وأبى الاعتراف بمكانته، مادام متشبعا بأفكار المعتزلة، التي خالفوا بها جمهور أهل السنة والجماعة[90].

غير أن أبرز تآليفه يعد بلا نظير هو "الجيش والكمين لقتال من يكفر عامة المسلمين" الذي ضمناه دراستنا في هذا المقال، معتمدين على نسخة محققة من نشر دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع، طنطا، مصر، طبعت سنة 1992، بمصر.

2. رسالة "الجيش والكمين فيمن كفر عامة المسلمين"

يعد تماسك المجتمع الإسلامي ووحدته الفكرية والعقدية، من أهم الرهانات التي يحرص الفقهاء والعلماء على صيانتها والذود عنها، وقد قام الفقيه الجزائري شقرون الوهراني[91] بتأليف رسالة في الموضوع سماها "الجيش والكمين لمن كفر عامة المسلمين". وقد نالت هذه الرسالة مساندة كثير من الفقهاء المعاصرين لشقرون الوهراني، كإبراهيم بن احمد الوجديجي، ومحمد بن عيسى، واحمد بن ملوكة، ومحمد بن العباس[92].

وتبتدئ الرسالة بـ :"يقول عبيد الله : محمد شقرون بن أحمد بن بوجمعة ثم الوهراني لطف الله به، الحمد لله رافع الحق و معليه و مذل الباطل و أهليه القائل بقول حاذق : بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ و الصلاة و السلام على سيدنا محمد و على آله و صحبه الذين اظهروا الدين و أزالوا عنه شبه الملحدين و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أما بعد:

فقد سألني جماعة من إخواني المسلمين[93] و جماعة كثيرة من عوام المسلمين على مسألة المقلد في العقايد "كذا" و من لا يعرف الدلائل و البراهين و ينزه الله و رسوله و ينطق بالشهادتين لا زائد ، هل إيمانه صحيح أم هو كافر و إيمانه فاسد ؟"

ثم يواصل قائلا :

"و طلبوا مني وفقهم الله صريح الجواب و إظهار الصواب و بيان المسألة لأولي الألباب ....فبادرت إلى إسعافهم في الجواب عن هذا السؤال موضحا إنشاء الله بأحسن مقال بنقل نصوص الأئمة من محالها لدفع هذه الشبهة و زوالها ، متبرئا من القوة و الحول و مستعينا بذي العزة و الطول ، و سميت هذا الجواب بالجيش و الكمين، لقتال من كفّر عامة المسلمين ، و ها أنا أقول بالحق أصول و الله سبحانه المبلغ للمأمول"...

وفي نهاية الرسالة يقول مترجمنا :" انجز هذا السؤال المذكور بحمد الله و حسن عونه على يد كاتبه أفقر الورى و أحوجهم لرحمة ربه و مغفرته الحاج حمزة بم محمد الصغير دعى بالمة الأندلسي التونسي منشأ و موطنا غفر الله له و لوالديه و لمن علمه خيرا في يوم ستة عشر في شهر الله الحرام محرم ". وتؤكد هذه النسخة في آخر فقرة بها أن تاريخ كتابتها كان سنة 920هـ وهي النسخة الرابعة التي كتبها المدعو الحاج حمزة بن محمد الصغير التونسي الاندلسي.

وتعد الرسالة نموذجا للفقيه المجتهد الحامل للواء التجديد والمواكبة، والمحافظ على الخط الفقهي المالكي، القائم على الاعتدال في طرحه الفكري، والواقعية في معالجة المشاكل والأزمات، التي تعصف بالمجتمع من حين لآخر.

كما تعد هذه الرسالة نموذجا للمدرسة الفقهية الجزائرية ذات الخصوصيات القائمة على منهج أهل الأثر وجماعة أهل السنة والوسطية والاعتدال، كما تعتبر مرجعا فقهيا وعقديا في التعاطي مع مختلف النوازل التي ألمت بالمجتمع وكيفية مواجهتها لفكر التكفير، في سبيل الحفاظ على الوحدة الدينية والمذهبية.

وتتمثل هذه النازلة في شيوع ظاهرة تكفير عامة المسلمين من طرف بعضهم البعض من جهة، ومن طرف بعض الفقهاء الذين يعدهم بوشقرون من أشباه العلماء، لإغفالهم مقاصد الشريعة في صيانة وحدة المسلمين.

وتتألف الرسالة من مباحث عديدة مهمة وخادمة للموضوع تضمنت الأفكار التالية:

الأسباب الباعثة على تأليف الرسالة.

الاحتمالات التي يكون عليها المؤمن إزاء التقليد:

الأول: المقلد مؤمن غير عاص.

الثاني: المقلد مؤمن عاصي.

الثالث: المقلد كافر.

وقد تعرض شقرون لهذه المباحث بالمناقشة العلمية والتحليل المنطقي، فبالنسبة للاحتمال الأول، الذي مفاده أن المقلد مؤمن غير عاص، يقول بوشقرون أن هذا القول رجحه الفقيه الباجي وأبو الوليد ابن رشد، الذين رأيا أن النظر مستحب لكنه ليس واجبا، وساق إلى جانب ذلك أقوال أبو حامد الغزالي والإمام القشيري والعز بن عبد السلام، وسيف الدين الآمدي والإمام شمس الدين القرطبي[94]. وبرر بالدليل من السيرة النبوية، حيث أن عامة المسلمين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، كانوا مؤمنين صالحين، دون أن يلزمهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المنطق، وكان قادرا عليه ، وكذا الصحابة والخلفاء الراشدون لم يثبت عليهم أن طلبوا يوما من العامة النظر في أحكام الدين وأدلتها، ووجوب التكليف والبراهين الدالة على ذلك، ولم يكن الصحابة مقصرين في ذلك "إنما سلكوا بالناس أيسر المسالك"[95].

وساق بوشقرون قول القرطبي والفاكهاني في المسألة، فأما القرطبي فنقل عنه أن "الصحابة رضي الله عنهم لم يمتحنوا الناس لمعرفة دخولهم في الدين"، هل كان دخولهم

على يقين أم عن حيلة وضعف، ولم يبحثوا في ذلك، وتحاشوا الدخول في تكفير الناس وتفسيقهم وتضليلهم، وهم أشد فهما عن الله تعالى وأخذا عن نبيه صلى الله عليه وسلم[96].

ويعتقد شقرون أن وجوب النظر بدعة، ولا تليق بعوام الناس، وما ألزم الله الناس إلا بالقدر الذي يدخلهم الجنة ودائرة الإسلام، وينجيهم من النار. ولو كان النظر واجبا دينيا لعلمهم النبي صلى الله عليه وسلم، لكنه رضي منهم بقول كلمة التوحيد، وساق لتعليل هذا الوصف مقولة الغزالي "ومن اجل ذلك لا يطلب تحريك عقائد العامة وتترك إلى الآخرة يوم تبلى السرائر وتكشف الضمائر"[97]

ونبّه شقرون من أن تغيير المنكر لا يكون بالتكفير، بل يجب تغيير المنكر الموجود في العقائد بالتلطف واليسر ومحاولة تعليم العوام وتنبيههم بما تسعه عقولهم، وساق تبرير شيخ من شيوخ أهل السنة وهو محمد السنوسي الذي طالما ما كان يردد لطلابه " قد جعل الله في الألفاظ سعة، وفي الأدلة سعة، وكل مخاطب على قدر فهمه"[98]

ويرى شقرون أن مهمة تعليم العوام، لا تناط بأي كان، بل بمن له القدرة على التبليغ وتجنب الخوض معهم، فيزيد شبهتهم بالموضوع، وساق بعض تقريضات شيخه أحمد بن زكريا السنوسي الشعرية في عقيدته حيث يقول:

ولا ينبه من لم يتقن القواعد عن التعرض لذي المقاصد.
تحريكه بمنظر الدليل لقاصر يفضي الى التطويل .
من اجل ذا قد قيل يحرم النظر وان مكلف عليه قد قدر[99]

ويمر شقرون في معالجة وتحليل هذه الظاهرة إلى مستوى آخر، يمكننا إدراجه تحت عنوان مهم وهو "العوام والخوض في علم الكلام والعقائد"، معتبرا إدراج علم الكلام في قاموس التداول عند العوام من أخطر ما يحدق بهم، ونقل في هذا الإطار كلاما جامعا عن أبي حامد الغزالي قوله "لا ينقب على قلوب العوام ولا يبحثون عن الأدلة والبراهين

التفصيلية بتحريرها بالعبارات المصطلح عليها ودفع الشكوك الواردة فيها كما يفعله المتكلمون"، فتكليف العوام بالخوض في علم الكلام مفسدة، ولا يطاق بالنسبة إليهم، و لربما أدى ذلك إلى ضلال بعيد، بسبب دخول الشبهات ساحتهم فيصيرون "كراكب بحر تكسرت سفينته" على حد تعبير مترجمنا، ومن سلم بما عنده من الإيمان نجا من الشبهات والشكوك التي تساير قلوب العامة في مثل هذه المواطن.

ومن أجل المزيد من التبرير لهذه القضية ساق قول الفاكهاني في أن العوام هم على "عقيدة الصحة والسلام أحسن وأجدر وإنما يطلب منهم دليل جملي يوجب طمأنة قلوبهم" فليسوا بحاجة إلى الخوض في غمار الأدلة والبراهين على صحة إيمانهم.

وقد ساق المترجم أقوال العلماء مفصلة في الموقف من علم الكلام والخوض فيه، فمن قائل بحرمته ومن قائل بوجوبه ومن قائل بالأخذ به وقت الحاجة، مرجحا ما ذهب إليه أهل السنة والأثر وأصحاب الفقه كمالك والشافعي وأبي حنيفة وابن حنبل.

ويؤكد شقرون أن ما يطلب من العوام، إنما يطلب منهم "التوحيد"، كما ذكر ذلك أبو بكر بن العربي الفقيه المالكي، في شرحه لموطأ مالك[100]، ويكون الطلب من العوام بالتيسير وبأسهل دليل مما يقدرون عليه، وقال إن الله تعالى "يرضى منهم باليسير فلا يصح الحكم عليهم بالتضليل لعدم البرهان والدليل"[101].

وساق قول القاضي الأندلسي أبو الوليد ابن رشد حينما سئل عن الذي يكفر العوام فقال "لا يجوز تكفيرهم ومن كفرهم فهو كافر"، ونقل عن الماتريدي[102] قوله "أنهم مؤمنون بربهم عارفون به" فهؤلاء العوام إذا سألتهم من خلقكم وآبائكم يقولون الله، ومن يحي ويميت يقولون الله، وهو القائم على تدبير الحياة الدنيا وكتابة الأرزاق والآجال، وكل ما يحصل للإنسان من خير وشر وقضاء وقدر، وكل ذلك كاف لحصول الإيمان وسلامة الاعتقاد[103]، وصح عن الإمام تاج الدين الاسكندراني صاحب الحكم مثل ذلك القول.

وقد أورد "بوشقرون" مثال على صحة عقيدة العاصي حيث ذكر أن فقيهين تكلما في الموضوع، وتساءلا: هل عقيدة العوام صحيحة أم فاسدة؟ فقال القائل بالصحة لصاحبه تعالى نذهب إلى سكران فقد جل عقله وغلبه الشراب أشد ما يكون، فوجداه في هذيان فضيع، فَخَلَوْا به وقال له القائل بالصحة حرصا منه على إظهار صحة قوله:" اكفر بالله أو اشتم النبي" أو نحو ذلك، فرفع السكران عند ذلك إليه بصره، وقال له أذهب ما بقي لي إلا هذه" أو نحو ذلك، ثم قال له :"اذهب ما بقي لي إلا هذه العين صحيحة –يعني عين الإيمان– أرجيها مع ما أنا عليه من عظيم المعاصي أردت أن تعميني فيها حاشا لله لا أقول شيئا من ذلك اذهب عني فما بقيت سوى تلك العين ارجئها ليوم لقائه عسى ان يغفر لي ما انا فيه مما غلبني عليه ابليس " فقال الفقيه لصاحبه أين ما تقول من فساد عقائدهم وحيفها، وأنت رأيت الرجل في حالة من الانغماس في السكر والمعاصي، لا يزال قلبه ينبض بالإيمان ويرجي حبه لله ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم[104].

ويوجه شقرون في رسالته المسؤولية في الاصلاح إلى الفرد، فالإصلاح في اعتقاده يبدأ بالنفس، وعلى المؤمن أن يبدأ بنفسه في إصلاحها وتعليمها لتدرك حقائق التوحيد، ولا يصح لنا أن نسيء الظن بعقائد أحد من الناس، وأن واجب تعلم المنطق وعلم الكلام فرض كفاية، إذا قام به أحد سقط على الجميع، ملمحا أن العلماء أحيانا يعجزون عن التعبير عما في مكنونهم من الحقائق، فما بالك بالعامة من الناس.

وأورد حديثا في هذا المضمار عن النبي "ص" يقول فيه "المؤمنون هم حشو الجنة وأن أكثر أهلها البُله"، فهم أهل الإيمان بالله تعالى، لا يتفطنون للشبهات فتحوم عليها نفوسهم، ويدخل عليهم الاختلاف، وأما العلماء العارفون فهم الأقل وهم أصحاب الدرجات العلا.

ونقل عن الإمام ابن الفورك[105] (ت406هـ) قوله "لو لم يدخل الجنة التي عرضها السموات والأرض إلا من يعرف الجوهر والعرض، لبقيت خالية لأن أكثر العوام لا يعرفونها".

وأما القاضي عياض[106] إمام زمانه فقد نقل عنه أن أكثر الفقهاء والمتكلمين من أهل السنن، هم على مذهب عدم تكفير العوام، وإخراجهم من سواء المؤمنين، وسماهم فساقا وعصاة ضلال، يورثون ونحكم بهم جميع أحكام أهل الإسلام، ويشير بوشقرون إلى بعض العلماء الذين اضطربوا في هذا الموضوع كالباقلاني والاشعري وابو المعالي الجويني امام الحرمين، حيث سأله أحدهم في الموضوع فاعتذر وقال "لا أحب أن أدخل كافرا الملة ولا أن أخرج منها مؤمنا"، مبينا أن ما قاله غيرهم من المحققين "الخطأ في ترك ألف كافر أهون من الخطأ في سفك دم مسلم ظلما، فكيف يجسر من لم يبلغ معشار ما بلغ هؤلاء على تكفيرهم وادخالهم النار[107]"

القول الثاني المقلد مؤمن عاصي

ويرى شقرون أن طائفة من العلماء يرون أن المؤمن المقلد عاص، إذا كانت له القدرة على النظر والاستنباط وله القابلية لذلك، ورفض استغلال النظر الصحيح، فإن لم تكن له قدرة وجب عليه التقليد حتى لا يكلف ما لا يطيق مصداقا لقوله تعالى :"لا يكلف الله نفسا الا وسعها"، وساق للاستدلال قولا للشاطبي يؤيد هذا المعنى[108]، مبرزا أن هذا القول قد قال به كذلك جماعة من أهل السنة.

القول الثالث القول بالتكفير لعوام المؤمنين

يعتبر شقرون أن هذا القول فيه فساد كبير، أجمعت عليه العقول السليمة، والفطر الصافية النقية، وهو قول شطط لا يراد به وجه الله تعالى، ما قال به أهل السنة فيما عند شقرون من علم بالسنن والآثار، وإنما هو قول منسوب للمعتزلة، وشيوخهم كأبي هاشم والجبائي والرماني، وهو ما ذكره الإمام محمد السنوسي صاحب العقائد في

"الوسطى"، ونسبه الإمام بن عرفة لشيخ المعتزلة أبي هاشم، ويؤكد شقرون أن نسب هذا الكلام للشيخ الباقلاني والأشعري من أئمة أهل السنة، كلام مكذوب وليس فيه صحة، مثلما أكد ذلك الإمام القشيري[109].

وساق بشقرون أقوال أهل السنة في المقلد، كالآمدي الذي يجمع من أن اتفاق أهل السنة على انتفاء التكفير في باب التقليد حاصل ومعروف لدى كل طالب علم، وكذلك ساق موقف الإمام القرطبي في أن كل مؤمن صدّق بالشهادتين وما تضمنتهما تصديقا جازما كان مؤمنا حقيقة، وعلى هذا سار رجال السلف، حتى جاءت مذاهب المعتزلة، وصرحوا أنه لا يصح الايمان الشرعي، إلا بعد الإحاطة بالبراهين العقلية والسمعية، على وجوب التكليف والحكمة منه[110].

ويعتقد شقرون الوهراني أن وجود ظاهرة الغلو في المجال العقائدي وانتشار بدعة التكفير التي كانت سائدة في بعض الأوساط، إنما كانت للمقلدين في الدين الذين يأخذون شرائع الدين دون تحقيق في أدلتها وتفريعاتها المختلفة، فيقولون بغير علم، حيث يقول في هذا المضمار "والذين لا علاقة لهم بالشرع إلا قليلا منهم، أفتوا بغير علم وفتحوا مجالات الفتنة على الناس بالقول بتكفير العامة الذين لا حيلة لهم"[111] على حد تعبيره، ويردف بالقول:" ولما شاع أمرهم وفشا وذاع قولهم رأيت من الواجب الرد عليهم وإظهار الحق قبل أن تفسد حياة الناس وسميت هذا الجواب الجيش والكمين لمن كفر عامة المسلمين"[112].

وقد تألم شقرون كثيرا للواقع الديني المنحط الذي لاحظه، بفعل الغلو وخلط العقائد بعلم الكلام، في ما لا ينبني عليه عمل[113]، معتبرا أن ترك النظر على القادر معصية لا تستوجب التكفير، فليس كل واجب إن تركه صاحبه كفر، فالصلاة التي أجمع المسلمون على وجوبها فإن تاركها يقتل حدا عند الجمهور لا كفرا، فما بالك بمسألة فيها خلاف على حد قول مترجمنا[114]، والقول بالتكفير لا يرادف وجوب النظر عند جمهور

السنة، والكافر عند جماعة العلماء لا يقال فيه ذلك، حتى ينظر إلى خاتمته، فقد يكون مآله حسن الخاتمة ويموت مسلما موحدا، فما بالك بالمسلم الخالص ابن المسلم الخالص؟؟ وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم :" من قال لأخيه المسلم يا كافر فقد باء بها أحدهما"[115].

ولهذا كما يردف بوشقرون، ألف الإمام الغزالي[116] رحمه الله كتابه "إلجام العوام عن الخوض في مسائل الكلام"، ومما قاله فيه أن الناس في هذا العلم بين غلو وإسراف، فمن قائل أن الخوض فيه بدعة وحرام، كمالك والشافعي وأحمد بن حنبل وسفيان الثوري وجميع أهل الحديث من السلف، ومن قائل أنه واجب كفاية يحمله من قام به وقدر عليه، ومن قائل أنه واجب على الأعيان وأنه أفضل الأعمال وأعلى القربات[117].

وقد ختم شقرون رسالته بتبيين حقيقة التقليد، وزيف المعنى المتداول عند الناس، فالتقليد المتداول عند أصحاب هذا الرأي لا يفيد ما يقصدون به من إثارة الفتن حول عقيدة المؤمنين العوام، وساق شقرون للاستدلال على هذا الكلام، ما قاله ابن عرفة في أن التقليد هو " اعتقاد جازم لقول غير معصوم"، كاتباع شيوخ الطرق والزوايا وأصحاب الكرامات، ومنه فعوام المؤمنين لا ينطبق عليهم هذا التعريف، فهم غير مقلدين لأحد وإنما متبعين لما بلغهم من السنن والاثار بفطرتهم السليمة. وقد صدق هذا القول الامام بن حجر الذي دعم هذا الرأي بالآية الكريمة التي يقول فيها الله عز وجل:"فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها"[118] ، وبالحديث الصحيح الذي رواه البخاري وأبو داوود ومالك وأحمد وغيرهم:"كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"، وفي هذا إشارة كما يقول شقرون في أن الدليل الجملي للتوحيد مغروز في كل مؤمن، وأن المؤمنين غير مقلدين لأحد، ولا يقدح فيهم عجزهم عن التعبير عن ذلك الإيمان، ويرجح أن هذه المسالة مثلما ذكرها أبو الوليد الباجي، هي من مسائل المعتزلة التي أدخلت في المذهب السني[119].

3. منهجه في معالجة التكفير وموقفه منه.

تميز منهج وأسلوب بوشقرون في كتابة رسالته التي بين ايدينا بالأسلوب العلمي والمنهج النقدي المقارن بالحجة والبرهان والدليل، فكان يطرح رأي غيره في المسألة ثم يسوق الأدلة التي تدحضه في أسلوب كتابي سهل وشيق، متخذا من مختلف القرائن السابقة والأقوال التي قدمها علماء السلف الصالح في مثل هذه المواضيع وسيلة لإيضاح فكرته واقناع القارئ بها، ومما يمكن استخلاصه من هذه الرسالة في هذا الجانب مايلي:

أولا: استغلال وتوظيف الشواهد القرآنية والنبوية فقد ترددت الأولى بنحو أربع مرات، وثماني مرات بالنسبة للشواهد النبوية والآثار المتعلقة بها،.

ثانيا: استغلال أقوال الأصوليين والمحققين من السلف الصالح ومن جاء بعدهم مثل أبو الوليد بن رشد، أبو حامد الغزالي، القشيري، العز بن عبد السلام، الإمام الآمدي، القرطبي، الفاكهاني، القاضي عياض، محمد السنوسي التلمساني، ابو بكر بن العربي، ابو منصور الماتريدي، ابن فورك الشافعي 406ت، الشهرستاني، الشاطبي، ابن حجر العسقلاني، ابو الوليد الباجي.

ثالثا: ساق شرح القاضي عياض لقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فرتضى، ولن يرض النبي بأحد من أمته في النار[120].

رابعا: استغلال وتوظيف المنهج العقلي والاستنباط والمنطق في تحييد أفكار خصومه وتثبيت آرائه ونظرته للموضوع.

خامسا: اتباع منهجية علمية سليمة شاملة لكل جوانب القضية التي عالجها في هذه الرسالة، فكانت خطة الرسالة متكاملة شافية كافية.

سادسا: سطر شقرون الوهراني منهجا عقديا وفلسفيا فريدا من نوعه بمعالجته لظاهرته التكفير والغلو التي انتشرت في زمانه، كما شكلت رسالته خطة لعلماء كثيرين جاؤوا من بعده وعالجوا قضايا الولاء والبراء في المجتمع الجزائري خلال الحقبة العثمانية،

وخير من سار على درب شقرون الوهراني الفقيه عبد القادر المشرفي المعسكري 1778ت[121] صاحب الفتوى الشهيرة في حق القبائل المتعاونة مع الإسبان والموسومة بـ "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبان من الأعراب كبني عامر"[122]، والتي استفاد منها حاكم بايلك وهران محمد الكبير كثيرا في تحقيق الاستقرار وفتح مدينة وهران سنة 1792م.

رابعا: نتائج البحث

لقد كانت المسائل الفقهية تكسر حاجز الحدود بين المجموعات الدينية آنذاك، وكانت مصلحة الفتوى تغلب على أي مصلحة أخرى، وكانت الفتوى تُرحّل إلى تونس والمغرب ومصر ثم تقدُمُ الجزائر مشروحة، بأدلتها وشواهدها المختلفة، وقد حاول العلماء الجزائريون في الفترة العثمانية بذل الجهد والاحتكاك بالمستجدات العلمية، خاصة في فترات الحج والمواسم الدينية التي يلتقي حولها الفقهاء، ومن هؤلاء خاصة "شقرون الوهراني"، موضوع الدراسة.

ومن خلال قراءة هذه الرسالة والأجواء التي اكتنفتها يمكن الوقوف على جملة النتائج التالية:

– جسّد "بوشقرون الوهراني" نموذج الفقيه المجتهد الجريء المضطلع بالمادة الفقهية والعالم بأقوال السلف والأصوليين، ومواكبته لتطورات الفتوى و ضوابطها.

– تعدد دواعي الجهل والأمية الدينية التي كانت تنخر في جسد المجتمع وتفرز الظواهر السلبية العديدة، والتي منها ظاهرة التكفير وتهميش الاجتهاد وتجريمه في بعض الأحيان، والاكتفاء بما تركه الأولون، مما قد لا يلاءم حاجات العصر والحد من الإبداع في ظل انتشار الخرافة والبدع المتنوعة.

– تصوير نفسية الجزائريين من خلال طبيعة علاقتهم ببعضهم وبالشعوب الأخرى كانت قائمة على الانغلاق والسخرية من الآخر، والتكفير للمقلدين خير مثال على ذلك.

– وقوع النخب الدينية في تصنيف بعضها البعض وتصنيف العوام، عوض معالجة الواقع الديني وتصحيح العقائد.

– الحكم المسبق للجزائريين عن غيرهم من الأجناس منع من احتكاكهم بالشعوب الأخرى، فابن سحنون الراشدي يصف الأوروبيين بالجهل والكذب وتفشي الخرافات بينهم ويعتبرهم ضالين بعيدين عن الطريق الصحيح[123].

– قلة وندرة العلماء المتنورين الداعين لرفع حالة الانغلاق والانكفاء على الذات، للقضاء على حالة الركود ونبذ التقليد الأعمى وفتح المجال للاجتهاد، فقلما نجد أحدا منهم أثار هذا الموضوع في كتاباته ودعا إلى تغيير الواقع المعاش.

– عزوف الناس عن طلب العلم والمعرفة والتفقه في الدين بسبب قلة الأرزاق المرتبطة بحامل العلم، واكتفاؤهم بالتقليد والاتباع الحرفي، في مسائل التعبد والعقائد.

– تعايش المساجد والزوايا والمدارس مع مختلف الظواهر الاجتماعية المخالفة لبعض تعاليم الإسلام، دون التفكير في تغييرها وتبيان حكمها الشرعي، واستمرار الفساد الاجتماعي قائما بأشكاله المتنوعة كمعاقرة الخمور وممارسة البغي، ولم يحسم العلماء الموقف منه سواء تحالفوا مع السلطة الزمنية أم خاصموها.

– انصهار الكثير من النصوص الشرعية الإسلامية والأحكام الفقهية في الممارسات الجماعية اليومية للسكان، وتمثُلُها في جزء هام من الموروث الثقافي للجزائريين، لكن دون أن تخضع للبحث والتطوير والاجتهاد في مضامينها.

– اتسام عقائد الجزائريين في العهد العثماني بالسطحية واكتفاؤهم بالحفاظ على الموجود وخضوع إيمانهم للتسليم والانقياد لما تركه الأولون دون دراية كافية وقدر مقبول من الفهم والإحاطة والفحص، وهو ما اصطلح عليه الأصوليون إسلام التقليد.

– انزواء المجتمع الجزائري في إطار ثقافة شعبية إنسانية ساكنة وغير متطلعة افتقدت لنخبة عالمة ولفقهاء متنورين يقودونه نحو التطلع لبناء كيان ثقافي متميز مثلما توفر للجارتين تونس والمغرب، بسبب انحسار المعرفة العلمية وانكماش الفعل الحضاري بسبب الحروب والصراعات الدائمة والمتكررة.

– انعزال الكيانات الفقهية الأخرى العريقة في دائرة الجمود والتقليد كمنطقة الشلف بني راشد زواوة بونة وغيرها، بعدما قدمت نماذج فقهية متطلعة، وكانت ترى التطورات الحاصلة بمثابة "فتن آخر الزمان".

الهوامش

1 – محمد بن ميمون (الجزائري)، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1972، ، ص 55.

2 – عبد الرحمن الجيلالي ، **تاريخ الجزائر العام**، ج03، ط4 ، دار الثقافة، بيروت 1984 م ص478.

3 – هكذا وردت في رحلة الورتلاني.

4 – محمد بن ميمون ، **المصدر السابق**، ص50.

5 – كارل بروكلمان ، **تاريخ الشعوب الإسلامية** ترجمة نبيلة أمين فارس ،منير البعلبكي، ط1 ، دار الملايين، بيروت، 1948 ، ص 491 .

6 – وليام شالر، **مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر**، ترجمة إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982 .

7 – مولاي بالحميسي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1979، ص.31.

8 – فيليبو بانانتي (Filippo Pananti 1766-1837) كاتب ومؤرخ إيطالي عاصر أحداث الثورة الفرنسية والأحداث السياسية التي كانت تعصف بأوروبا، لجأ إلى فرنسا (1799) ثم هاجر نحو انجلترا (1802) وفي سنة 1814 تعرض للقرصنة من طرف الرايس حميدو ونقل إلى الجزائر، أقام بها بعد ذلك وسجل ملاحظاته ونشرها سنة 1817.

9 – اصطُلح على تسمية المغرب الأوسط لفظ "بربارية" من طرف الرحالة والنخب السياسية والفكرية الأوروبية خلال فترة الوجود العثماني في الجزائر، ومهما قيل في تفسير هذا المصطلح إلا أن الإحساس بوجود أوصاف سيئة يحملها هذا المصطلح يسود لدى كثير من القراء.

10 – رأس بحري يقع جنوب مدينة طنجة المغربية.

11 - Pananti Filippo, **Relation D'un Séjour à Alger**, le Normant, Paris, 1820 p.366

12 - Filippo Pananti. Op.cit.366

13- Xavier Yacono. "**La Régence d'Alger en 1830 d'après l'enquête des commissions de 1833-1834**" . In: R.O.M.M, N°1, 1966 p.365

14- ibid. p366

15- ibid.. pp. 229-244.

16- سعيد إسماعيل علي، **الأزهر على مصرح السياسة المصرية دراسة في تطور العلاقة بين التربية والسياسة**، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1974، ص62.

17 – سعد الله (أبو القاسم) **تاريخ الجزائر الثقافي** ، طبعة دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998، ص405

18 – أبو القاسم سعد الله، **المرجع نفسه**، ص405

19 – كان للأندلسيين تأثيرا كبيرا في المسار الثقافي والاجتماعي للمغرب الأوسط منذ نهاية القرن الخامس عشر وحتى القرن الثامن عشر، خاصة في الحواضر التي استقروا بها كمستغانم تلمسان شرشال البليدة قسنطينة و عنابة، وقد تناول هذا التأثير العديد من الباحثين والمؤرخين.

20- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، المرجع السابق، ص ص 241-242.

21- Laugier de Tassy. **histoire du royaume d'Alger**, loysel, Paris, 1992. p95.

22 - لمزيد من الاطلاع على الأوضاع الاجتماعية والصحية أثناء العهد العثماني انظر : موساوي فلة القشاعي، **الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الإحتلال الفرنسي 1518-1871**، دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2005.

23- نصر الدين سعيدوني و المهدي البوعبدلي، **الجزائر في التاريخ**، ج04، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 88.

24 - محمد مكحلي، "**الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للجزائر خلال العهد العثماني 1707-1827م**" في مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر.

25- Pananti Filippo, **o**Pcit, P332

26 - Tomas Shaw, **op**.**cit**., p421.

27 - ج.أو.هابنسترايت، **رحلة ج.أو.هابنسترايت إلى الجزائر وتونس**، تر ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008، ص48.

28 - زكريا العابد ، **الجزائر من خلال رحالة غربيين** ، مذكرة ماجستر ، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة 2008.

29 -Fraye Diego de Haido , **Topographie et Histoire General d'Alger**, Traduit A. Berbrugger. 1870. p196

30 - كانت عادة المبارزة بالسيف سواء للتسلية أو التدريب أو الخصومة عادة يومية عند السكان في أوروبا آنذاك، وقد أثار انعدام وجودها في الجزائر انتباه الكاتب لما ينجم عنها من خصومات وعداوات بين الناس في حال الإصابة لأحد الطرفين.

31 - Haido, **op**.**cit**., p197.

32 - Le Général Dumas, **Mœurs Et Coutumes de L'Algérie**, librairie de La Hachette Et Cie, Paris, 1853, p36..

33 - Dumas, **Op.cit** . p36.

34 – الورتلاني (الحسين)، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، تح ونشر محمد بن أبي شنب، مطبعة فونتانا ، الجزائر، 1908، ص 111..

35 – بن حمادوش (عبد الرزاق)، **لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال**، تح أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1983، ص236.

36 – تنسب هذه الأبيات للفقيه الراشدي القسنطيني.

37 – محمد بن ميمون، **المصدر السابق**، ص84.

38 – أحمد بن محمد المقري 1041 -986هـ/ 1578- 1631م هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني علم من أعلام المغرب الإسلامي أثناء عهدها العثماني زار المغرب والحجاز والشام ومصر، حيث توفي بها ، له "روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين: مراكش وفاس" و"نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب".

39 – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي** ، ج02، المرجع السابق، ص10.

40 – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق**، ص80.

41 – تعرف هذه النوازل بـ:"الدرر المكنونة في نوازل مازونة" لأبي زكريا يحي المازوني، وقد كانت موضع العديد من الأبحاث والدراسات الأكاديمية نظرا لأهميتها، منها رسالة ماجيستر الطالب: بركات إسماعيل، تخصص التاريخ الوسيط جامعة متنوري 2010.

42 – بركات إسماعيل، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا يحي المازوني**، (ش.م.غ.م.)، تخصص التاريخ الوسيط، جامعة متنوري، قسنطينة، 2010، ص 290.

43 – من مسائل الاستفتاء التي طرحت على بن عظوم التونسي: الأموال أصولها وإنفاقها المواريث البيع الشراء الكراء العارية مسائل النكاح وما تعرق به من قضايا الزواج والطلاق النفقة الدين والرهن والأملاك والأحباس والحيازة وغيرها للمزيد من الإحاطة بالموضوع يرجع الى: أبو القاسم بن عظوم

المرادي، **كتاب الأجوبة**، تح محمد الحبيب الهيلة، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، قرطاج تونس، 2004. .

44 – محمد أبو عبد الله المغوفل متصوف وزاهد من منطقة غرب الجزائر ولد سنة 828هـ، 1424 م وتوفي سنة 923هـ 1517 م انظر حمدادو بن عمر، **الشيخ سيدي محمد أبو عبد الله المغوفل 1023 دفين وادي شلف وتأليفه :قصيدة في مدح النبي فلك الكواكب وسلم الرقيا إلى المراتب**. مقال اليكتروني، وكذلك أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري. (ش.و.ن.ت) ، الجزائر، 1981. ص123.

45 – حمدادو بن عمر، **المقال نفسه**.

46 – من المصطلحات الغريبة والشائعة في الأوساط الطرقية والصوفية "إعطاء أسرار الطريقة" لشخص ما ليستمر على نهج الشيوخ الأوائل، ولا يزال المجتمع إلى اليوم يحتفظ بهذه الفكرة، ومصطلح "فلان معطية له"، فما الذي أُعطي له يا ترى؟؟ هل هي سلطة روحية أم أسرار غيبية تنأى العقول البسيطة على فهمها واستيعابها؟؟

47 – الورتلاني، **المصدر السابق**، ص 668.

48 – نور الدين عبد القادر، **صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، نشر كلية الآداب الجزائرية مطبعة البعث قسنطينة 1965، ص266..

49 – عبد الرزاق قسوم، **عبد الرحمن الثعالبي والتصوف**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978 ص25..

50 – المهدي البوعبدلي، **الجزائر في التاريخ**– مقال سابق ص 4 –121.

51 – أحمد بن مبارك تقول الرواية أنه ينتمي إلى قبيلة هاشم من منطقة غريس انتقل إلى الوسط وأقام بمدينة القليعة في سنة 1601

52 – أبو الفيض عبد الستار الدهلوي، **فيض الملك الوهاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي**، دراسة وتحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، 2006. ص281.

53– يحي بوعزيز، **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة** ، ج02، ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2009 ، ص224.

54 – الزهراني بن عبد الله، **الانحرافات العقدية والعلمية**، المرجع السابق، ص259.

55 - J.M. Venture de Paradis, **Tunis et Alger au XVIIIe siècle**, mémoires et observations rassemblés et présentés par Joseph Cusq, Edition Sindbad, Paris, 1982, p.257

56 - Abou. Baker. Abdessalem Ben Chouaib, "**Les marabouts guérisseurs**", in R.A. N°51 ,1907,pp 250.255.

57 - Pierre Boyer, **La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française**. In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°1, 1966. p80.

58 – مالطة جزيرة بشرق المتوسط كانت ملتقى الحضارات الوافدة بين ضفتي البحر المتوسط.

59 – عزيز سامح يالتر، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، ترجمة محمود علي عامر، ط01، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1989 ، ص600.

60 - zeghari Latifa el hassar, **les Captifs d'Alger d'après la relation de Emanuel d'Aranda jadis esclave a Alger XVIIème siècle**, casbah éditions, Alger, 2004 , p 227

61 – أبو بكر الطرطوشي فقيه مالكي، ولد سنة 451 هـ وتوفى سنة 520 هـ في مدينة طرطوشة الأندلسية اشتهر بالرد على خصوم الدين والمبتدعين وكانت له مكانة مرموقة عند الفقهاء، أثنى عليه ابن بشكوال في كتاب "الصلة" فقال: "كان إماماً عالماً ، عاملاً زاهداً، ورعاً ديناً متواضعاً، متقشفاً ، متقللاً من الدنيا، راضياً منها باليسير".

62 – أبو فارس عبد العزيز محمد القيرواني، **الفتوى المالكية في أفعال الصوفية**، جمع وتحقيق أبو أحمد علي الكندي، مؤسسة بينونة للنشر والتوزيع، 2009، ص07.

63 – في مقال تاريخي بعنوان "دراسة ووصف منقوشة تاريخية عربية في قسنطينة" وفي معرض حديثه عن بعض أسر قسنطينة يذكر الباحث الفرنسي "أو بيقوني" أن عنوان كتاب ابن الفكون هو "منشور الدراية في كشف حال من ادعى العلم والولاية" وليس منشور الهداية.....انظر:

E Bigonet, une Inscription Arabe de Constantine, in **RA**; n°47, 1903, p307.

64- كان يؤمن بأصحاب البركة والصلاح، وكثيرا ما كان يصدق بكرامات كانت تحكيها له جدته عن جده وصدق رؤياه في المنام للنبي عليه السلام في الجنة وأن اسمه عبد الكريم.. انظر عبد الكريم الفكون، **منشور الهداية في كشف من حال من ادَّعى العلم والولاية**" ، تقديم وتحقيق وتعليق، الدكتور أبو القاسم سعد الله، بيروت، دار الغرب الإسلامي،1987م ص36.

65 – هو الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني "الحفيد" ت 842 هـ من علماء تلمسان أخذ عن سعيد لعقباني وابن عرفة والسراج ابن الملقن وابن خلدون له "الروضة" و"الحديقة" منظومتان في علم الحديث أحداهما، وله " أنوار الدراري في مكررات البخاري" و"المتجر الربيح والمسعى الرجيح والمرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح" وغيرها.

66 – هو الإمام سعيد بن محمد العقباني ت1172هـ، قاض وفقيه مالكي من مدينة تلمسان تولى القضاء بها ثم في بجاية، ثم انتقل إلى المغرب ليستزيد في طلب العلم والفقه المالكي عرفت سيرته بالميل للتصوف وتشجيع أهله، نرك العقباني عدة مؤلفات وشروح وتعاليق منها "شرح جمل الخونجي" و"العقيدة البرهانية" وغيرهما.

67 – الورتلاني، **المصدر السابق**، ص 138.

68 – محمد بن يوسف الزياني، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تحقيق المهدي البوعبدلي، ش.و.ن ت، الجزائر، 1978 ص79.

69 – هي فتوى مشهورة لأهل الأندلس يشجعهم فيها على البقاء في ارض الاسلام وعدم تركهم لبلدهم ويدعوهم للبقاء والتمسك بالدين والصبر على سياسة التنصير انظر ساعد تبينات، **الإمام احمد بوشقرون الوهراني وفتواه لأهل الأندلس**، ضمن أعمال الملتقى الوطني" النوازل الفقهية عند علماء الجزائر، من نهاية القرن 16، الى بداية القرن20، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 15-16ماي 2013.ص23.

70 – فتحي زغروت، **النوازل الكبرى في التاريخ الإسلامي**، الأندلس الجديدة للتوزيع والنشر، 2009، ص 494 وما بعدها

71 – التميمي عبد الجليل، **الدولة العثمانية وقضية المورسكيين**، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية، زغوان، تونس، 1989. ص11.

72 – ساعد تبينات، **المقال السابق**، ص14.

73 – محمد بن يوسف الزياني، **المصدر السابق**، ص75 وما بعدها.

74 – محمد بن محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، الجزء01، الطبعة01، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، 1349هـ، ص276.

75 – محمد بن يوسف السنوسي هو محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب الحسني عالم تلمسان صاحب العقائد المشْهورة ولد سنة 832 وتوفي سنة 895، ودفن بتلمسان، له مؤلفات كثيرة منها: "العقائد المشهورة الكبرى والصغرى" وشروح عليها، "، انظر أبو القاسم الحفناوي ، **تعريف الخلف برجال السلف**، مؤسسة الرسالة ، ط2، بيروت، 1985، ص 207 و245.

76 – ساعد تبينات، **المقال السابق**، ص14.

77 – علي بن يحيى السلكسيني الجادري فقيه وعالم ومحقق درس الحساب والفرائض ومختصر ابن الحاجب ورسالة ومختصر خليل وعقائد السنوسي وغيرها، تعلم على يد شقرون الوهراني القراءات، توفي سنة 973، انظر عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر، من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط02، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1980 المرجع السابق، ص 73.

78 – عبد الرحمن الجيلاني، **تاريخ الجزائر العام**، الطبعة السادسة، دار الثقافة، بيروت لبنان، 1983م، ص 108.

79 – يقصد بها منظومة الجيش والكمين موضوع دراستنا.

80 – عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، المرجع السابق، ص347.

81 – نافع له أربعة رواة أشهرهم : ورش وقالون وإسماعيل وإسحاق، ولكل واحد منهم رواة، فلورش ثلاثة، ولقالون مثل ذلك، ولإسحاق روايتان، ولقالون مثل ذلك، والمجموع عشر روايات وهي طرق نافع العشر. والمنظومة " تقريب المنافع في الطرق العشر لنافع " عبارة عن أبيات شعرية، تضم ثلاثمائة بيت ، ألفها وهو في سن العشرين سنة 899هـ

82 – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي المرجع السابق**، ص 22.

83 – التقييد هو "ماكان من الالفاظ دالة على وصف مدلوله المطلق بصفة زائدة" الآمدي كتاب الأحكام، وعرفه بن الحاجب بانه ما اخرج من شياع بوجه مختصر، وقيل هو اللفظ الدال على مدلول المطلق بصفة زائدة"، أواللفظ الذي يدل على فرد مقيد بصفة من الصفات، ومن أمثلة ذلك عند ابن منظور، المقيد معناه أن الايمان يمنع عن الفتك بالمؤمن، وفي الآية "وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ومن قتل مؤمنا خطا فتحرير رقبة مؤمنة" ، فشرط الإيمان في الرقبة قيد لها، ولو لم يشترط لكانت الرقبة مطلقة، ومنه فالتقييد في الفقه وعلوم العقيدة هي شروح يدونها الفقيه على تأليف سابق ملتزما بمنهج سابقيه دون الخروج عليه.

84 – هو كتاب "مورد الضمان في رسم أحرف القران من نظم الإمام محمد الشريشي الخراز"

85 – عادل نويهض، **المرجع السابق**، ص 79.

86 – عادل نويهض، **المرجع نفسه**، ص189.

87 – أحمد بابا التمبكتي (ت. 1036 هـ / 1627 م). هو أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر التكروري التنبكتي السوداني، فقيه وعالم ومحقق ولقب بالتنبكتي نسبة إلى مدينة تمبكتو ولد سنة 963 هـ وتوفي سنة 1036 هـ ومن ابرز آثاره: "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" انظر خير الدين الزركلي، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ج 08، ط05، دار العلم للملايين، لبنان، الأعلام، دت.

88 – محمد بن مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الكتاب العربي، بيروت، 1349هـ ، ص276.

89 – المهدي البوعبدلي، **"اهتمام علماء الجزائر بعلم القراءات في القديم والحديث"**، في مجلة الأصالة . الملتقى الخامس عشر للفكر الإسلامي، الجزائر، 1981، ص 153.

90 – جاء في بعض الأبيات التي انتقد فيها شقرون فقيه الشرق الزمخشري:

أزمخشري أسرفت قولا معلنا بضلالك النامي وتزعم معرفه

قد رمت تنزيه الإله محسنا بالعقل لا أن الهدى في ذي الصفه

فعدلت عن نهج الكليم وسنته ونفيت أوصاف الجلال بذا السفه

91 – يحي بوعزيز، **أعلام الفكر المرجع السابق**، ص 208. وانظر كذلك: يوسف عدّار، **محمد بن أبي جمعة الوهراني (حياته وآثاره)**، مقال اليكتروني.

92 – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الثقافي**، المرجع السابق، ص81.

93 – شقرون الوهراني، **الجيش والكمين لقتال من كفر عامة المسلمين**، دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع، طنطا، مصر، 1992، ص22.

94 – شقرون الوهراني، **الجيش والكمين المصدر السابق**، ص17.

95 – شقرون الوهراني، **المصدر نفسه** ص17.

96 – شقرون الوهراني، **المصدر نفسه** ص17.

97 – شقرون الوهراني، **الجيش والكمين المصدر السابق** ص26.

98 – شقرون الوهراني، **المصدر نفسه** ص26.

99 – شقرون الوهراني، **المصدر نفسه** ص26.

100 – له كتاب القبس في شرح موطأ مالك بن انس.

101 – شقرون الوهراني، **الجيش والكمين المصدر السابق** ص28

102 – أبو منصور الماتريدي فقيه وأصولي وفيلسوف إسلامي عاش في القرن الرابع الهجري في مرحلة ازدهار الفلسفة وعلم الكلام وكان له مساهمات كثيرة في علم الكلام والعقائد وكان يرى في كثير من مسائل العقيدة رؤية الأشاعرة وتعرف باستخدام البراهين والدلائل العقلية والكلامية في محاججة خصومها، من المعتزلة والجهمية وغيرها، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية. للمزيد انظر الأشعري مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين.

103 – شقرون الوهراني، **المصدر نفسه** ص28

104 – شقرون الوهراني، **الجيش والكمين المصدر السابق** ص 29.

105 – من أئمة أهل السنة سكن العراق ثم ارتحل نيسابور ومكث بها يدرس وينشر الفقه ثم دعي إلى مدينة غزنة من بلاد الهند وكان له بها مناظرات مع شيوخ الفرق المبتدعة فغلبهم فدسوا له من يسمه فمات ودفن في الحيرة، سنة 406هـ، بلغت مصنفاته قريبا من مائة تأليف.

106 – هو أبو الفضل عياض، اليحصبي 476 هـ 544- هـ1083 / م1149- م قاض وفقيه مالكي، تولى قضاء سبتة وغرناطة، جلس للتدريس والمناظرة سنينا طويلة، وقتل في مراكش سنة 544 هـ بسبب رفضه الاعتراف بابن تومرت مؤسس دولة الموحدين، في دعواه بأنه هو الإمام المهدي المنتظر.

107 – شقرون الوهراني، **المصدر نفسه** ص35.

108 – شقرون الوهراني، **المصدر نفسه** ، ص37

109 – شقرون الوهراني، **المصدر نفسه** ص37

110 – شقرون الوهراني، **المصدر نفسه** ص38.

111 – شقرون الوهراني، **المصدر نفسه** ص12.

112 – شقرون الوهراني، **المصدر نفسه** ص13.

113 – شقرون الوهراني، **المصدر نفسه** ص18.

114 – شقرون الوهراني، **المصدر نفسه** ص38.

115 – عن مالك بن دينار عن عبد الله بن عمر، حديث صحيح رواه البخاري ومسلم.

116 – أبو حامد محمد الغزّالي الطوسي النيسابوري الصوفي الشافعي الأشعري، أحد أعلام عصره وأحد أشهر علماء المسلمين في القرن الخامس الهجري، 450) هـ 505 – هـ1058 / م- 1111 م كان فقيهاً وأصولياً وفيلسوفاً، لقب بحجّة الإسلام ومحجّة الدين، ومفتي الأمّة، له تصانيف عديدة وجريئة حرق بعضها نتيجة ذلك انظر محمد لطيف جمعة، **تاريخ فلاسفة الاسلام**، في المشرق والمغرب، المكتبة العلمية، القاهرة 1354. ص70..

117 – شقرون الوهراني، **الجيش والكمين المصدر السابق** ص 29.

118 – سورة الروم

119 – شقرون الوهراني، **المصدر نفسه** ، ص43.

120 – شقرون الوهراني، **المصدر نفسه** ص24

121 – وصفه تلميذه أبوراس الناصري بوعاء المحققين وإمام بني راشد كان فقيها متعلما ومجاهدا، حاضرا في سقوط وهران الثاني سنة 1732 وألف كتابه بهجة الناظر بالمناسبة. وكان هذا التأليف

بمناسبة صدور حكم قضائي قاس، حكم به الفقيه احمد الفيلالي المقري على الجزائريين المتعاونين مع الإسبان من قبائل بني عامر بالكفر كلهم دون استثناء، وأباح أموالهم وممتلكاتهم وذراريهم ونسائهم للمسلمين، فدعا المشرفي في رسالته إلى ضرورة التفرقة بين المتعاونين مع الإسبان، وإمعان النظر في الأسباب والدوافع وراء ذلك، انظر الفصل الثالث من هذا البحث لمناقشة موضوع تكفير الأهالي ودور عبد القادر المشرفي في تبيين حكم الله في هذا الأمر.

[122] - Houari Touati , **Entre Dieu et les Hommes lettres saints et sorciers au Maghreb 17eme siècle** éditions de l'école des hautes études en science sociales paris. 1994. p61..

123 - ابن سحنون الراشدي، **المصدر السابق**، ص 221.